اسم الدرس : سورة الفاتحة – آيات تتلي ج٢

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أهلًا بكم في الحلقة الثانية من وقفات مع سورة الفاتحة، ضمن برنامج آيات تُتلى. نكرر أن الغرض الأساسي من هذا البرنامج إحياء معاني الإيمان تجاه السُّوَر التي نسمعها كثيرًا، وتمرُّ علينا ونحن لا نشعر بالمعاني المبثوثة فيها.

العجيب أن السُّورة التي معنا سورة عظيمة، بل هي **أعظم سورة في كلِّ الكتب**، كما تكلَّمنا في الحلقة الماضية. هذه المرة نريد أن نتكلَّم عن المعاني. المرَّة السابقة تكلَّمنا عن الفضائل، وبدأنا بمقدمة بحيث تستطيع أن تُلمَّ بخريطة السورة.

ما أهمية معرفة خريطة السُّورة؟

لأننا قلنا أن **هذا هو المُجمل**، فبالتالي القرآن كلّه عبارة عن تفصيل لهذا الفهرس الذي ذُكر في أول المصحف؛ هذا الإجمال ذُكر في أول القرآن. لذلك عندما تفتح المصحف تجد أول سورة هي سورة الفاتحة.

إذًا؛ ما هي الخريطة؟ هي عبارة عن: ثناء، ودعاء، وآية تحدِّد وجهتك.

١- **ثناء**: في أول ثلاث آيات {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.

٢- الآية التي تعيد تعريفك كإنسان، أو **تحدِّد وجهتك** وقبلتك: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

٣- **دعاء**: بعد ذلك ما هو الطلب؟

هذه مقدمة ثناء وبعد ذلك تعريف، فعند كتابتك مثلًا لطلب؛ فأنت تكتب في البداية **ثناءً**؛ تُثني على من سترسل له الطلب، وبعد ذلك تذكر **من أنت في الأصل؟** {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ثم ما هو طلبك؟، وفي **الدعاء** لم يقل "اسألك الهداية" لكن الدعاء فيه تفصيل، وسنتكلم عنه –إن شاء الله–.

هيا بنا نقف سريعًا وقفات مع هذه المعاني.

بدايةً؛ هناك ثلاثة معانٍ مهمة قبل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وهي في: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وكل كلمة تقولها –لو عايشت معانيها في الصلاة– يردُّ الله سبحانه وتعالى عليك[١]، (فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال الله سبحانه وتعالى: حمدني عبدي)، أول كلمة تستفتح بها علاقتك بالله هي الفاتحة التي ستفتح لك الخيرات في الدنيا والآخرة، وأول آية تستفتح بها الشفاء الذي سيصرف عنك السموم، أول آية تستفتح لك الطريق؛ أن تحمد الله –سبحانه وتعالى–.

[١] [عن أبي هريرة:] مَن صَلّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمامٍ. فقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إنّا نَكُونُ وراءَ الإمامِ؟ فقالَ: اقْرَأْ بها في نَفْسِكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: قالَ اللَّهُ تَعالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: {مالِكِ يَومِ الدِّينِ}، قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ: {إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ} قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ: {اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المَغْضُوبِ عليهم ولا الضّالِّينَ} قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٣٩٥ • [صحيح]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، **الحمد**؛ كلمة مليئة **بالثَّناء**، مليئة **بالحبِّ**، مليئة **بالخضوع**. والحمد يختلف عن المدح؛ فعندما تمدح أحدًا أو تشكر أحدًا فأنت تمدحه على بعض الصفات الجميلة فيه، أو عمل خير قدَّمه للناس، لكن **الحمد هو الذي يستحقُّ الثَّناء لذاته**، ما معنى هذا الكلام؟ بمعنى أن هناك من لا يحمد الله إلا عندما تصله النعمة، لكن لو حُرم من بعض النعم لا يحمد الله، هذا الفعل اسمه **الشُّكر**؛ أن تأتيك نعمة فتشكر الله سبحانه وتعالى مقابل هذه النعمة، هذا اسمه شكر، لكن الحمد هو أن تحمد الله –سبحانه وتعالى– على أسمائه وجماله وصفاته، أن تحمد الله –سبحانه وتعالى– على جمال خَلقه، وعلى سعة كونه، أن تنبهر بخَلق ربنا –سبحانه وتعالى–.

اذا هناك ثلاث مراتب هم الحمد والشكر و المدح ما يكون في حق الله هو الحمد والشكر، فنجد أن الحمد أعم وأشمل فهو في السراء والضراء، وهو حمد لأن الله في ذاته مستحق له، أما الشكر فهو شكر مشروط باتيان النعمه وليس مطلق فهذا مرتبته أقل.

{الْحَمْدُ لِلهِ} وقُدمت كلمة الحمد بالألف واللام، فأفادت **الاستغراق** في كل ألوان الحمد، كأن أتمنى أن تكون حياتي كلها شكرًا لله، جاء صحابي للنبي –صلَّى الله عليه وسلم– فقال له: يا رسول الله أنا أعددت محامد وثناء على الله وأريد أن أقولها –الصحابيُّ في قمة السعادة لأنه يريد أن يُثني على الله سبحانه وتعالى– فقال له النبي –صلَّى الله عليه سلم–: (ألا وإن ربك يُحب الحمد)[٢]، النبي –عليه الصلاة والسلام– يخبره أنه إنسان موفَق، فالنبي –صلَّى الله عليه وسلم– يحمل لواء الحمد يوم القيامة، النبي –صلَّى الله عليه وسلم يُفتح عليه بمحامد لم يُفتح عليه بها من قبل يوم القيامة حتى يُشفَّع[٣].

أريدك أن تتفنَّن في الثَّناء على الله، أريدك أن تجلس وتفكر كيف تُثني على الله، أن تفكر ماذا يحب الله لأفعله؟، الله يحب (سبحان الله وبحمده)[٤]؟ سأقولها، الله عز وجل يحب أن أشكره على نعمه؟ إذاً

---

[٢] [عن الأسود بن سريع:] يا رسولَ اللَّهِ ألا أنشدُكَ مَحامدَ حَمِدْتُ بِها ربِّي؟ قالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: أما إنَّ ربَّكَ يحبُّ الحَمدَ وما استَزادَهُ على ذلِكَ شيئًا

العيني (ت ٨٥٥)، نخب الافكار ٣٢/١٤ • [له] طريقان صحيحان

[٣] [عن أبي سعيد الخدري:] أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وبِيَدِي لِواءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، وما من نبيٍّ يَوْمَئِذٍ، آدمُ فَمَن سِواهُ إلا تَحْتَ لِوائِي، وأنا أَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ. قال: فيَفْزَعُ الناسُ ثلاثَ فَزَعاتٍ، فيَأْتُونَ آدمَ فيقولونَ: أنتَ أَبُونا آدمُ فاشْفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فيقولُ: إني أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ منه إلى الأرضِ، ولكِنِ ائْتُوا نوحًا، فيَأْتُونَ نُوحًا فيقولُ: إني دَعَوْتُ على أهلِ الأرضِ دَعْوَةً فأُهْلِكُوا، ولكِنِ اذْهَبُوا إلى إبراهيمَ، فيَأْتُونَ إبراهيمَ فيقولُ: إني كَذَبْتُ ثلاثَ كَذِباتٍ. ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: ما منها كَذِبَةٌ إلا ما حَلَّ بها عن دِينِ اللهِ، ولكِنِ ائْتُوا موسى، فيَأْتُونَ موسى فيقولُ: إني قد قَتَلْتُ نَفْسًا، ولكِنِ ائْتُوا عيسى، فيَأْتُونَ عيسى فيقولُ: إني عُبِدْتُ من دونِ اللهِ، ولكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ. قال: فيَأْتُونِي فأَنْطَلِقُ معهم. قال ابنُ جُدْعانَ: قال أَنَسٌ: فكَأَنِّي أنظرُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ قال: فآخُذُ بَحَلْقَةِ بابِ الجنةِ فأُقَعْقِعُها فيُقالُ: مَن هذا؟ فيُقالُ: مُحَمَّدٌ، فيَفْتَحُونَ لي ويُرَحِّبُونَ بي، فيقولون: مَرْحَبًا، فأَخِرُّ ساجدًا، فيُلْهِمُنِي اللهُ من الثناءِ والحمدِ، فيُقالُ لي: ارْفَعْ رأسَكَ وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وقُلْ يُسْمَعْ لقولِكَ، وهو المَقامُ المحمودُ الذي قال اللهُ: عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا

الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣١٤٨ • حسن صحيح

[٤] [عن أبي ذر الغفاري:] قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الكلامِ أحَبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؟ قال: ما اصْطَفاهُ لِمَلائكتِهِ: سُبحانَ اللهِ وبحَمدِهِ، سُبحانَ اللهِ وبحَمدِهِ، ثلاثًا تَقولُها.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٢١٥٢٩ • إسناده صحيح على شرط مسلم • أخرجه مسلم (٢٧٣١)، والترمذي (٣٥٩٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦١)، وأحمد (٢١٥٢٩) واللفظ له

سأشكره عليها، ربنا يحب أن أتأمل في خَلقه؟ سأتأمل في خَلقه وأُثني عليه سبحانه وتعالى، سأتفنَّن في ذلك.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ما معنى رب؟ بعض العلماء قال: رب بمعنى مالك، لكن هناك مالِك يوم الدين، وهناك ملِك، فما الفرق بين ربّ ومالِك؟ قالوا: رب ليس فقط من يملك الشيء، ربنا –سبحانه وتعالى– لا يملكنا فقط، نحن نقول إنا لله، فالله –سبحانه وتعالى– يملكنا، ليس فقط يملك الكون؛ ولكن الله –سبحانه وتعالى– **يربِّي الكون**، كلمة "ربّ" جاءت من **التربية**، فالشيء في البداية يكون صغيرًا ثم يكبر رويدًا رويدًا.

الصغير في كل لحظة يحتاج إلى غذاء، {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ}[الزمر ٦]، بذرة تكون في الطين، ينزل الماء، فتكبر، ثم تنمو، جذور، وساق، وأوراق، فتخرج الثمرة، من الذي فعل ذلك؟ {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[الذاريات ٤٧]، الكون: {كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[الأنبياء ٣٠]، من الذي صنع هذا الكون؟! حينما اكتشفوا مجرد صورة للثقب الأسود؛ العالم انبهر، من الذي خلق هذا الكون؟ من الذي رتب هذه السماوات وهذه الأفلاك، وهذه الأجرام وهذه المجرَّات، وهذه الكواكب وهذه الشموس، وهذه الأقمار بهذا الترتيب؟ من الذي فعل كل هذا؟

ومن الذي نسَّق البذرة مع الطين؟ أن تكون محتاجة غذائها، والجذر يشق الأرض، ويأتيه الماء من باطن الأرض، ثم تخرج ثمرة تكون مناسبة لمعدة الإنسان ليأكلها، ويخرج الورق ليأكله الحيوان، وتكون مناسبة لمعدة الحيوان ليتغذى عليها، فيكبر، فيكون لحمه مناسبًا للإنسان. ما هذا؟! ما هذا التنسيق المبهر؟! ثم ينزل اللحم في بطن الإنسان؛ فيفرز إنزيمات وهرمونات مناسبة أيضًا لهضم اللحم، ثم يتحول إلى غذاء يتوزع في جميع أنحاء الجسد، ثم يتحول إلى طاقة!، من الذي رتب كل هذا! والكون كله يكبر ويتحرك، الكون ليس ثابتًا بل يدور، وهو في كل لحظة يحتاج إلى الله، لو تركه الله لهلك، السماوات والأرض لو تركها الله لهلكت، {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}[البقرة ٢٥٥]، –سبحانه وتعالى–.

إذًا؛ الإنسان لا بد أنه يصطحب هذا الكون وهو في كل لحظة محتاج لربنا، فيقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة ٢]، عوالم!؛ عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الحيوان، وعالم الطيور، وداخل عالم الحيوان؛ عالم النمل، وعالم النحل، وعوالم من الحشرات، وعوالم من النباتات، وعوالم من الطحالب والبكتريا، والميكروبات، وعوالم مختلفة...

لدرجة أن بعض العلماء قال معنى جميل جدًا، قال: العالم هذا اسم مثل الخاتم، يعني هذا الخاتم يُستعمل، فالعالم أشبه بالطابع هذه علامة، فكل هذه العوالم آيات تدل على الله –سبحانه وتعالى–، فالواجب عند رؤية أي شيء أن تقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة ٢].

هذا الإله العظيم، أنت متخيل أن هذا الإله العظيم؛ رحمن رحيم! –سبحانه وتعالى–، قد تظن أن كل صفاته ستكون صفات تعذيب فقط؛ لأنه –سبحانه وتعالى– الذي خلق، والخَلق هذا ليس عبثًا، لكن بالرغم من ذلك قبل أن تقول {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، حتى تصل إلي يوم الدين آمنًا مطمئنًا تقول: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة ٣]، الرحمن: ذو الرحمة **الواسعة**، والرحيم: ذو الرحمة **الدقيقة**. فبعض

العلماء قال: الرحمن حين تكون محتاجًا لشيء ضخم، مثل اسم الرحمن في سورة مريم، كلها معجزات فيأتي لها اسم الله الرحمن، أما الرحيم فكونك محتاجًا لرحمته في دقائق وتفاصيل حياتك.

لذلك يقول العلماء: أنت محتاج لرحمات ضخمة، ومحتاج لرحمات دقيقة، فأنت محتاج لتفاصيل في المنزل، وتفاصيل مع أولادك، وتفاصيل في العمل؛ هذا اسم الله الرحيم، ومحتاج أيضًا لقفزات في حياتك؛ هذه تأتي من اسم الله الرحمن، فلذلك قال بعضهم: ((الرحيم جاء بعد الرحمن حتى لا يظن إنسان أن سؤال الله –سبحانه وتعالى– يكون في الأمور العظيمة فقط، لا؛ بل تسأل ربنا –سبحانه وتعالى– في الأمور العظيمة، والأمور الدقيقة، حتى ملح طعامك، وحتى الحذاء –أعزك الله– إذا انقطع تطلبه من الله سبحانه وتعالى، فتطلب من الله كل شيء، تفاصيل حياتك في الدنيا والآخرة تطلبها من الله سبحانه وتعالى، هذا هو معنى الرحمن الرحيم)).

بعد ذلك يقول تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]

إذًا؛ بعد الكلام عن الكون، والعوالم، ورحمة الله سبحانه وتعالى، وبعد الحديث عن: رب العالمين، ويدخل طبعًا في "العالمين": الملائكة والإنس والجن، وكل العوالم، وبعد رؤية رحمات ربنا –سبحانه وتعالى– المبثوثة في الكون، اتضح أن هناك يوم الدين، {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]: اختيار الله سبحانه وتعالى واصطفاؤه لكلمة **الدين** هنا مُبهر، لذلك حار العلماء؛ توجد أسماء كثيرة ليوم القيامة في القرآن، وصنفت كتب في أسماء يوم القيامة في القرآن، وفي مشاهد يوم القيامة في القرآن، لماذا ورد هنا اسم "الدين" تحديدًا؟

قالوا إن الدين هنا يجمع معنيين، طبعًا أنا أحاول تلخيص ما قاله العلماء، فالحديث عن كلمة "الدين" به الكثير من المعاني، بل إن أهل اللغة عندما تكلموا في كلمة "الدين" فصّلوا فيها وأتوا بأبيات شعر تدل على معان مختلفة.

لكن أحد المعاصرين أشار إلى معنى جميل جدًا، وهو أن الدين يركز على معنيين مهمين جدًا، (الجزاء أو الحساب، والمنهج).

بعض العلماء يركز على فكرة الجزاء والحساب، ويأتي بها من الدَّينونة، وأنك تُدان، وأنك ستُحاسب، وأن يوم الدين بمعنى يوم الحساب.

لكنه قال: إن الدين عندنا بمعنى المنهج، وما أنزله الله –سبحانه وتعالى– لنا يسمى دينًا، فبالتالي أنت تتبع منهجًا، تتبع {دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}[الأنعام ١٦١].

لكن ما الرابط بين الاثنين؟ **كيف ستُحاسب بدون منهج**، لأن معنى أن الله –سبحانه وتعالى– سيُحاسبك وستخضع للحساب وللموازين، وأن الصحف ستُقرأ يوم القيامة، معنى هذا أن أعمالك ستُصحح على منهج، فجُمع بين الحساب والمنهج في كلمة واحدة.

إذًا؛ هذه الكلمة تردُّ على كلّ الشبهات الإلحادية، كلمة "يوم الدين" لو آمن بها إنسان ستُغَيِّر من وجهته، وبالفعل كثير من الشبهات في دين الإنسان تقوم على أنه –للأسف– يتجاهل الدار الآخرة، بل أصل من أصول الكفر هو تجاهل الدار الآخرة.

واستقرار الإيمان بالدار الآخرة في قلب الإنسان يحوِّل حياته تمامًا. أريد منكم وأنتم تختمون في رمضان، وأنت تختم المصحف أن تتتبَّع كلمة {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ}[الفرقان ١١]، أو "أعرضوا عن الدار الآخرة"، أو "كفروا بالدار الآخرة"، انظر لهذه المعاني؛ ستجدها **بعد شوط طويل من الكفر**، يقول ربنا جل وعلا إنهم كذبوا بالساعة، أي إن سبب الكفران والشبهات التي قالوها، وإعراضهم وحبهم للدنيا؛ لأنهم كانوا {يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}[الإنسان ٢٧] ، أو لأنهم يذرون الآخرة، أو لأنهم {كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ}[الفرقان ١١].

إذاً وبالعكس؛ **إن استقرَّ الإيمان بالآخرة في قلب الإنسان، كثيرٌ من القرارات المصيرية في حياته سيتخطاها بسهولة**، سبب الكثير من القرارات المتأخرة في حياتنا هو أننا لا نعيش معالم الدار الآخرة، فالدار الأخرة بالنسبة لنا سراب، بعكس الصحابة، قال الله –سبحانه وتعالى– واصفًا أهل الإيمان: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة ٤]، هم يرون الآخرة يقينًا، وعندهم الدنيا سراب، ونحن بالعكس؛ الدنيا التي أمسكها بيدي هي اليقين، والآخرة سراب.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤] –أو {ملِك يوم الدين} بقراءة متواترة أيضًا– أي أن هذا اليوم لا يتكلم فيه أحد إلا الله –سبحانه وتعالى–، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه –سبحانه وتعالى–.

في الدنيا فلان يظلم، وفلان يعتلي العرش، وفلان يصارع ويقتل، وفلان يعذب، وفلان يملك، وفلان يعطي الأوامر، **هذا كله سيزول**، هذا مُلك مَجازي عابر، ليس له حقيقة دائمة، كل هذه الملوك، وكل هذه العروش ستسقط، وسيأتي يوم {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم ٩٨]؟

{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر ١٦]، سوف يأتي اليوم الذي تسقط فيه كل هذه العروش {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، يأتي يوم تكون الشمس فيه قريبة من الناس، الناس حُفاة عُراة لا يتكلم منهم أحد، هذا هو المشهد الحقيقي الذي ينبغي أن يكون عليه الناس في الدنيا.

لكنَّ هذا الإنسان يطغى {أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ}[العلق ٧]، هذا الإنسان بمجرد أن ملك جزءًا من الدنيا يطغى، ويقول: يا ربي، ويعترض على الله –سبحانه وتعالى–، ويقول: لم؟ ويَقتل ويُعذِّب، **هؤلاء المتكبرين** يحشرون يوم القيامة كأمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم[٥].

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، ترد على كل الشبهات الإلحادية من **الجانب النفسي**، لماذا يوجد شر في الكون؟، لماذا لا ينتقم الله من الظالم في الدنيا؟ لماذا يتركنا الله نُعذَّب ونحن مسلمون؟، لماذا يترك ربنا

---

[٥] [عن أبي هريرة:] يُحشَرُ المتكبِّرون يومَ القيامةِ في صوَرِ الذَّرِّ تطَؤُهم النَّاسُ لهوانِهم على اللهِ تعالى.
العراقي (ت ٨٠٦)، تخريج الإحياء ٤١٥/٣ • إسناده حسن • أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٢٤) باختلاف يسير، والبزار (٨٠٢١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩٤/١٢) مختصراً

الأطفال تُقطَّع؟، لماذا يترك ربنا المسلمين يُحرَّقوا؟، {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، ترد على كل هذه التساؤلات، فتخبرنا أن العدل الكامل المطلق سوف يأتي يوم القيامة؛ أن هذه الدنيا دار ابتلاءات.

لأنه من الممكن أن يقول شخص كيف يكون الله عز وجل {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة ٣]؟ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة ٢]، أنا رأيت المخلوقات فأثنيت على ربنا سبحانه وتعالى، فكيف هو {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة ٣] والمسلمون في السجون؟ كيف يكون {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والأطفال يُعذَّبون وتُلقى عليهم القذائف في غزة؟ كيف يكون {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والمسلمون يُقطعون؟ {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} كيف؟ فيُقال لك: انتظر لا تتعجل {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، هذه ليست النهاية، الدنيا ليست النهاية؛ {ذلك وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ}[محمد ٤]، لكن الله –سبحانه وتعالى- {يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ}[إبراهيم ٤٢]، الله –سبحانه وتعالى- يؤخرهم لذلك اليوم، يوم العدل المطلق، يوم الحكم الذي لا يتكلم فيه أحد، يوم يُلقى الكفار في جهنم، والمسلمون يجلسون على الأرائك، متكئين في الجنة ينظرون إلى أهل الكفر، ينظرون إلى من كان يعذبهم.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، كلمة تسكب **الطمأنينة**؛ لذلك انظر إلى الإعجاز، حينما يقول إنسان {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، يقول الله –سبحانه وتعالى-: (فوَّض إلي عبدي)[6]، نعم أنا فوَّضت، لستُ خائفًا، لست حزينًا لشيء يحدث في الدنيا، لماذا؟ لأن هناك يوم سآخذ فيه حقي كاملًا ممن ظلمني، {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.

إذًا؛ لدينا مقدمة حمد وثناء على الله –سبحانه وتعالى-، ثم يأتي أهم اسمين لله تعالى{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة ٣]، والاسمين بنفس المعنى –سبحان الله-، (إن رحمتي سبقت غضبي)[7] كما قال الله – سبحانه وتعالى- في الحديث القدسي، ثم تأتي {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة ٤]، وفيها استحضار ليوم القيامة؛ هذه المعاني محورية في حياتك، إذًا؛ عندما نقول هناك سبعة معاني يجب أن تكررهم في حياتك، يجب أن تكرر الثناء، الرحمة؛ وذلك بأن تكتسب هذا الخُلُق بينك وبين الناس، كما يجب أن تكرر ذكر الدار الآخرة، هذه من مركزيات الوحي، بعد ذلك تقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة ٥].

ماذا تعني {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}؟ كان من المتوقع أن تكون "نعبدك" –دعونا أولًا نقول ما المتوقَّع ثم نقول كيف أتى بها القرآن– كان من المتوقَّع لو كان هذا كلامًا خارج القرآن، ليس نعبدك؛ بل كان متوقَّعًا أن تكون "نعبده"؛ لأنني أتكلم عن ربنا، بمقام الغيب، أنا أتكلم عن ربنا من أول السورة بضمير الغائب، أقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة ٢]، أتكلم عن ربنا، لم أقل "الحمد لك"، ليس بكاف الخطاب، أنا لا أخاطب الله، أنا أتكلم عنه، –انتبهوا معي في هذه الجزئية– أنا أتكلم عن ربنا من أول السورة، أقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، كأني أقول هو {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}،

---

[6] سبق تخريجه (١)

[7] [عن أبي هريرة:] لمّا قضى اللَّهُ الخلقَ كَتبَ في كتابِهِ فَهوَ عندَهُ فوقَ العرشِ إنَّ رَحمتي سبقَت غضَبي وفي لفظٍ: إنَّ اللَّهَ كتبَ كتابًا قبلَ أن يَخلُقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبَقت غضَبي، فَهوَ عندَهُ فوقَ العرشِ وفي لفظٍ آخرَ: لمّا خلقَ اللَّهُ الخلقَ كتبَ في كتابٍ كتبَهُ على نفسِهِ فهو مَرفوعٌ فوقَ العَرشِ: إنَّ رَحمتي تغلِبُ غَضبي
الألباني (ت ١٤٢٠)، مختصر العلو ٢١ • صحيح • أخرجه البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١) باختلاف يسير.

انتبهتم؟، وبعد ذلك فجأة لم يقل "نعبده"، لا، ولم يقل نعبدك، أنا أقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، هنا حدثت نقلة عجيبة في السورة، العلماء توقفوا هنا كثيرًا وتعجبوا، وهذا يسمونه في اللغة (**الالتفات**)، فقد كنت أتكلم عن الله سبحانه وتعالى، وفجأة وصلت لمقام **وكأني أقف بين يدي الله عز وجل**، وكأني أرى الله سبحانه وتعالى وأخاطبه مباشرة وأقول: **يا رب أنا أعبدك يا رب**.

وهذا يعني أني عندما كنت أكرر الثناء على الله وأكرر معاني الرحمة، وأكرر استحضار الدار الآخرة، إيماني كان يعلو، ويعلو، ويعلو، لدرجة أنني وصلت **لمرتبة الإحسان**؛ فأعبد الله –سبحانه وتعالى– كأنني أراه؛ فأخاطبه وأقول: يا رب أنا أعبدك يا رب. ولا أقولها فقط، بل يا رب أنا لا أعبد غيرك، ليس في حياتي غيرك، فحرف الكاف الذي في (نعبدك) جعلناه في الأمام، ووضعنا معه (إيَّا) فأصبحت إيَّاك نعبد، فأصبح المعنى: يا رب لا أعرف في حياتي سواك، أنا عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، أنا في سليل العبودية، ليس لي أحد، أنا عبد، وأبي عبد، وجدي عبد، وأمي أمة، وجدتي أمة، عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ليس لي غيرك أصلًا، أذهب لمن سواك؟

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، جاءت "نعبد" وليست: إياك "أعبد"، كي أدخل في عبادك الصالحين، فأنا مذنب، أستحضر عبادات المسلمين وأقول: يا رب أدخلني معهم يا رب، يا رب أريد أن أصل أدخلني معهم.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، يا رب أنا وجهتي أن أعبدك يا رب.

العبودية: الخضوع، الذل، الانكسار، الحب، طريق مُعبّد، طريق خالٍ من العقبات، طريق أوامر الله تعالى بقمة السهولة واليسر {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، لكن هذا طلب عالٍ جدًا لا أستطيعه، يا رب أنا بك وإليك، ليس لي غيرك، فيا رب {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وأيضًا أطلب منك العون على عبادتك، –سبحان الله–.

أي تخيل أنك –ولله المثل الأعلى– ذاهب إلى شركة تتقدم مثلًا إلى عمل؛ فتقول لهم: أريد أن أعمل عندكم ولكنكم ستساعدونني! فيرفضون باستغراب: هل أنت ستعمل عندنا أم نحن من سنساعدك!؟ – ولله المثل الأعلى– هذا لا يكون إلا من الله –سبحانه وتعالى– تطيعه وتطلب العون منه فيعينك ثم يثيبك على ما أعانك عليه، ثم يدخلك الجنة بفضله وكرمه ورحمته –سبحانه وتعالى–، ماذا تريد أكثر من هذا؟!

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة ٥]، الألف والسين والتاء للطلب، **تطلب العون منه**، فلن يعينك أحد إلا الله.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، هذه الآية، أريدك أن تعتبرها قنبلة تفجِّر أي أسباب بداخلك، أي تعلُّقات بداخلك: بشيخ، بعالم، بمُرَبٍّ، بأحد سيفهمك، بأحد سيوصلك، {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تدمر هذه الأسباب! كما قال الله في الحديث القدسي: (كلكم ضال إلا من هديته)[٨]، {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، تجعلك تريد أن تصل لله به فقط، إياك أن تتعلق بغيره.

[٨] [عن أبي ذر الغفاري:] عَنِ النبيِّ ﷺ، فِيما رَوى عَنِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالى أنَّهُ قالَ: يا عِبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَمُوا، يا عِبادِي كُلُّكُمْ ضالٌّ إلّا مَن هَدَيْتُهُ، فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبادِي كُلُّكُمْ جائِعٌ، إلّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي

أحيانًا تُؤتى من كونك متعلقًا بصوت فلان الجميل، وبدرس فلان الجميل، وبكتاب فلان.. لا؛ هذه كلها وسائل وأسباب قد تؤتي ثمارها وقد لا تُؤتي، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

إذًا؛ في المقدمة: ثناء، الرحمن الرحيم؛ استحضار معنى الرحمة، استحضار الدار الآخرة. هذه مركزيات لا بد أن أكررها في حياتي، فقد قلنا إن هذا الإسلام اختصر في سبع آيات، هذا هو الإسلام!

ثم من أنت؟ أنا عبد، كيف تصل لذلك؟ بالاستعانة.

حسنًا؛ ما الذي تطلبه بعد هذا؟ في المقدمة ثناء ثم عرَّفت نفسك، فماذا تطلب إذًا؟! هذا الطلب الذي اختاره الله لي أن أطلبه {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة ٦]. يا رب أتمنى أن تهديني يا رب، معنى الهدى: الدلالة والإرشاد برفق، يا رب خذ بيدي، أنا فقير، أنا لا أستطيع التحرك بمفردي يا رب، يا رب خذ بيدي برفق، أنا ضعيف.

الهداية ليست: اهدنا إلى الصراط المستقيم!، كلا؛ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ}، يا رب كن معي طول الطريق.

هذا الصراط المستقيم، هذه الكلمة عجيبة جدًا، كلمة كسرت الحواجز بين الدنيا والآخرة، هذا الصراط مستمر إلى الجنة، أي أن هذا الصراط مستمر من أول لحظة في الإسلام، من قولك: "أشهد أن لا إله إلا الله"، ومستمر بالشرائع وبالعبادات، ومستمر في القبر، ومستمر إلى الفردوس الأعلى، إذا كنت تسير بشكل صحيح على الصراط المستقيم، أي أن: الفاتحة كسرت الحواجز بين الدنيا الآخرة.

استحضر معي مشهد الصراط المستقيم؛ هذا طريق من أول لحظة في الإسلام، ويمتد إلى الجنة، هذا الطريق لست أسير عليه بمفردي، هذا الطريق به أناس سبقوني عليه، منهم الأنبياء وعلى رأسهم محمد – صلَّى الله عليه وسلم–، ثم المهاجرين والأنصار، ويليهم أتباع الأنبياء، وأنا معهم أسير وراءهم على الصراط!

يا رب أريد السير على هذا الطريق، لكنه صعب جدًا، من الممكن أن أقع منه، هذا الطريق أحدُّ من السيف وأرقُّ من الشَّعرة، وبالمقابل هذا الطريق فيه أناس كثير ساروا عليه، إذًا هذا الطريق ليس مستحيلًا.

كيف سارت الناس التي عليه؟! ساروا عليه بفضل الله، فأقول يا رب {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لكن هذا الصراط صعب فكيف ساروا عليه؟! يا رب هؤلاء لم يستطيعوا السير عليه إلا بتوفيقك!

كُلُّكُمْ عارٍ، إلّا مَن كَسَوْتُهُ، فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبادِي إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ والنَّهارِ، وَأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادِي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ، ما زادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قامُوا في صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ مِمّا عِنْدِي إلّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبادِي إنَّما هي أَعْمالُكُمْ أُحْصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيّاها، فَمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إلّا نَفْسَهُ.وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ على نَفْسِي الظُّلْمَ وعلى عِبادِي، فلا تَظالَمُوا.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٥٧٧ • [صحيح]

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[الفاتحة ٧]

أنت من أنعمت ليسوا هم.. لا، لا؛ هذا بإنعامك يا رب {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، لولا إنعامك ما ساروا، وأنا يا رب لولا إنعامك فلن أسير، يا رب أريد السير وراءهم يا رب أريد اللحاق بهم، {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة ٣] يا رب أيوجد أمل؟!

هناك أمل بالدعاء والتضرع، وتوحيد الوجهة وتجديد العزيمة.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[الفاتحة ٥–٧].

يا رب أريد السير وراءهم واللحاق بهم، أتمنى أن أصل لهم وأشرب من يد النبي –صلَّى الله عليه وسلم– من حوضه –صلَّى الله عليه وسلم–، أتمنى أن أسير على الصراط كالبرق، أو كالريح، أو كأجاويد الخيل[٩]، دون الوقوع من على الصراط، يا رب أتمنى السير هكذا في الدنيا، لكني أقع كثيرًا، ففي كل وقت أقع؛ لذلك يا رب في كل وقت أنا أطلب منك: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

ما بين كل صلاة وصلاة تقع كثيرًا، قم وقل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، ما بين كل صلاة وصلاة وقعت في ذنوب، قم وقل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}! وإن انتهت الصلوات؛ صلي قيام الليل وقل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} قم بعد الفجر قل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} صلِ الضحى وقل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

ستقع كثيرًا؛ فقم كثيرًا، لأنك إن وقعت فإما أن تقع مع المغضوب عليهم، أو ستقع مع الضالين، {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عليهم}: اليهود، الذين كانوا يعلمون الصواب وأصروا على فعل الخطأ، أو تقع مع {الضالين}: النصارى الذين لم يسمعوا الكلام أصلًا، وأطاعوا هواهم فوقعوا في الضلال.

---

[٩] [عن أبي سعيد الخدري:] سأَلْنا رَسولَ اللهِ، فقُلنا: يا رَسولَ اللهِ، هل نَرى رَبَّنا يومَ القيامَةِ؟ قال: هَل تُضارُّونَ في القَمرِ ليلَةَ البَدرِ ليسَ دونَه سَحابٌ؟ قال: قُلنا: لا، قال: فَهل تُضارُّونَ في الشَّمسِ ليسَ دونَها سَحابٌ؟ قال: قُلنا: لا، قال: فإنَّكم تَروْنَ ربَّكم كَذلكَ يومَ القيامَةِ، قال: فيُقالُ: مَن كان يَعبُدُ شَيئًا فلْيَتبَعْهُ، فتَبِعَ الَّذينَ كانوا يَعبُدونَ الشَّمسَ الشَّمسَ، فيَتساقَطونَ في النّارِ، وَيَتبَعُ الَّذين كانوا يَعبُدونَ القَمرَ القَمرَ، فيَتساقَطونَ في النّارِ، ويَتبَعُ الَّذينَ كانوا يَعبُدونَ الأَوثانَ والأَصنامَ الأَصنامَ، وكُلُّ مَن يَعبُدُ مِن دونِ اللهِ شَيئًا، فيَتَساقَطونَ في النّارِ، ويَبقى المُؤمِنونَ، مُنافِقوهُم بينَ ظَهرانَيْهِم، ويَبقى أهلُ الكِتابِ، قال: وقَلَّلَهم بيدِه، قال: فيُقالُ لَهم: ألا تَتَّبِعونَ ما كُنتُم تَعبُدون؟ فيَقولونَ: كُنّا نَعبُدُ اللهَ، وَلَمْ نَرَ اللهَ تَعالى، قال: فَكيفَ؟ قال: فيَكشِفُ اللهُ عن ساقٍ، قال: فَلا يَبقى أحدٌ كان يَسجُدُ رياءً وسُمعةً إلّا وَقع على قَفاهُ! قال: ثُمَّ يوضَعُ الصِّراطُ بينَ ظَهرانَيْ جَهنَّمَ، قال: وَإنَّه لَدَحْضٌ مَزَلَّةٌ، وإنَّ له كَلاليبَ وَخَطاطيفَ، قال عَبدُ الرَّحمنِ: لا أَدري، فَلعلَّه قال: حَشيشةٌ يَنبُتُ بِنَجدٍ يُقالُ له: السَّعْدانُ، قال: ونَعَتَها، قال: ثُمَّ قال: والأَنْبياءُ بِجَنبَيِ الصِّراطِ، وأَكثَرُ قَولِهِم: اللَّهمَّ سلِّمْ سلِّمْ، فأَكونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يَمُرُّ، أو قال: أوَّلَ مَن يُجيزُ، قال: فيَمرُّون عَليه مِثلَ البَرقِ، ومِثلَ الرِّيحِ، ومِثلَ أَجاويدِ الخيلِ والرِّكابِ؛ فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخدوشٌ مُكلَّمٌ، ومُكَرْدَسٌ في النّارِ! فإذا جاوَزوا - أو قال: فإذا قَطَعوا - قال: فَما أحدُكُم في حقٍّ له فيه أَشدَّ مُناشَدةً مِنهُم في إخوانِهِمُ الَّذينَ سَقَطوا في النّارِ، فيَقولونَ: أيْ ربِّ، كنّا نَغْزو جَميعًا، ونَحُجُّ جَميعًا، وَنعتَمِرُ جَميعًا، فبِمَ نَجَونا اليومَ وهلَكوا؟! قال: فيَقولُ اللهُ: انظُروا مَن كان في قَلبِه زِنَةُ دينارٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجوهُ، قال: فيُخرَجونَ، ثُمَّ يَقولُ: انظُروا مَن كان في قَلبِه مِثقالُ حبَّةٍ مِن خَردلٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجوه، ثُمَّ يَقولُ: انظُروا مَن كان في قَلبِه مِثقالُ حبَّةٍ مِن خَردلٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجوه، قال: فيَخرُجونَ، قال: ويَقولُ أبو سَعيدٍ: بَيني وَبَينكم كتابُ اللهِ، قال عَبدُ الرَّحمنِ: فأَظُنُّه يُريدُ: {وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ}، قال: فيُقذَفون في نَهرٍ يُقالُ لَه: نَهرُ الحياةِ، قال: فيَنبُتونَ كَما تَنبُتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ، أَما تَروْنَ ما يَكونُ مِنَ النَّبْتِ إلى الشَّمسِ يَكونُ أَصفَرَ، وَما يَكونُ مِنَ الظِّلِّ يَكونُ أخضَرَ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، كأنَّكَ قد رَعيْتَ الغَنَمَ؟ قال: قَد رَعَيتُ الغَنَمَ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، تخريج كتاب السنة ٦٣٤ • إسناده جيد على شرط مسلم • أخرجه أحمد (١١١٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٤) واللفظ له، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٢١/٢)

أريدك أن تستحضر الختام، مشهد الفاتحة النهائي قبل أن تقول (آمين)؛ يصور لنا مشهد طريق بدأ من الدنيا ومستمر إلى الآخرة، هناك أناس تسقط هنا، وأناس تسقط هناك، هناك أناس تقع من الصراط؛ وأنت ترى من يسقط، اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين كلهم يقعون، وأنت يتملكك الرعب من أن تقع مثلهم.

ليس معنى قولي أن "غير المغضوب عليهم" هم اليهود و"الضالين" هم النصارى، **أننا لن نقع!**

لا لا؛ فمن الممكن أن تكون فيك أخلاق من التي تجلب الغضب و–العياذ بالله–، أو أخلاق من التي تتسبب في الضلال، لذلك وأنت تختم ختمة رمضان انظر! ما هي الآيات التي قالت إن ربنا يغضب على هؤلاء واحذرها، وانظر الآيات التي قال الله فيها إن هؤلاء لا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم واحذر منها، {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ [آل عمران ٧٧] الآيات التي قالت إن من يفعل هذا سيضل ويشقى، انتبه من سيفعل ذلك؟ واحذره.

يا رب أريد السير وراء النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، أريد السير وراء الصحابة، أخاف أن أقع، أيعقل أن يدعو إنسان بهذا الدعاء ويستحضر معانيه ويكون محبًّا ليهودي؟ أو يكون قدوته نصراني، أو يكون قدوته مشرك، أو أن يكون منبهرًا بوثني، أو يكون مقلدًا لملحد!

أيعقل أن يقول أحد: يا رب أخاف أن أكون من المغضوب عليهم والضالين، ويكون قدوته في الحياة غير الصحابة، أيعقل؟!

هذا لا يفهم ما يتكلم به، هذا لا يفهم المعاني الرئيسية؛ لذلك أعجبتني مقالة الشيخ إبراهيم السكران عندما سمَّاها "كل المنهج في أم الكتاب"، كان فيها معانٍ جميلة جدًا، وركَّز في آخرها على خطورة الصراط المستقيم وأنه من الممكن أن تقع!

لذلك عندما أبدأ بالصلاة أقول: "الله أكبر".. وأنا خائف، أتمنى أن يهديني الله، خائف من أن أقع، سُبل الضلال كثيرة، كم الشبهات التي نسمعها لا تُحصى، كم الشهوات التي حولنا كثيرة!

أدخل الصلاة في كل مرة مستحضرًا كلمة "اهدنا" أريد أن أصل لها بشكل صحيح، أريد مقدمة صحيحة، وأريد أيضًا تعريفا صحيحًا:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وأريد دعاءً صحيحًا، ويجب أن أكون مستحضرًا جيدًا لـ{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، وخائف من أن أكون من المغضوب عليهم أو من الضالين، خائف أن أقع، فهداية الله لك لا تعني أنك لن تقع!

فممكن أن تقع! {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف ١٧٥].

لذلك الدعاء الذي نقوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة ٦] كيف أن مسلمًا، مؤمنًا، عابدًا ووليًّا من أولياء الله ويقول {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، ألم يهده الله؟!

لا؛ ليس هذا معناه أنك فزت! **فلا راحة حتى تصل إلى الفردوس.**

من الممكن أن تقع، من الممكن أن تكون من أولياء الله ثم تُعجب بنفسك، ثم تظن في نفسك ويصيبك الكبرياء و–العياذ بالله– فتسقط، أو تتبع شهوة أو شبهة فتسقط. فلذلك تكرر {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ}، أناس كثير مشوا في الطريق، هذا الطريق قابل للتطبيق وليس مستحيلًا.

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ}،{عَلَيْهِمْ} بفضل من الله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، الذين غضب عليهم ربنا {وَلَا الضَّالِّينَ}.

في النهاية تقول –وليست من الفاتحة– (آمين)[١٠]: **اللهم استجب**، لأنك تتمنى أن يستجيب الله دعاءك، لذلك في صلاة الجماعة تدعو مع الناس، وتأمينك يوافق تأمين الملائكة، فتُهدى، وتكرر الدعاء في كل مرة.

نريد أن نخرج من الفاتحة بهذا المعنى؛ أن هناك معان يجب أن تكررها في حياتك، **الثناء** على الله –سبحانه وتعالى–، **الرحمات، الخوف من الدار الآخرة، تعريفك لنفسك؛ العبادة والاستعانة، طلب الهداية من الله** –سبحانه وتعالى–، **استحضار قدوتك** {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم}، **الخوف من الذين ضلوا والذين غضب الله عليهم**.

هذه **سبعة معاني** لا بد أن تكررهم في حياتك، كل معنى منهم محاور أُفردت بعد ذلك في القرآن، المغضوب عليهم قصص ذُكرت في المصحف، الضالين قصص، الثناء قصص.

المجمل أن السبع آيات فُصلت تفصيلًا في المصحف بعد ذلك.

وهذا من رحمة الله –سبحانه وتعالى– بنا، أنه اختصر لنا معاني المصحف ومعاني الكتب السابقة في هذه السورة، فنشكر ربنا سبحانه وتعالى على هذه النعمة؛ وذلك بأن نتعلم سورة الفاتحة، ونقرأها من التفاسير، ونستحضر المعاني السبعة، ونكرر دائمًا ونقول {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[الفاتحة ٦–٧]

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقني وإياكم إلى الهداية، وأن يوفقنا –سبحانه وتعالى– إلى السير في هذا الصراط المستقيم، وأن يتقبل منا أعمالنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[١٠] [عن أبي هريرة:] إذا قالَ الإمامُ: {غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالّينَ} فقُولُوا: آمين، فإنّ الملائكةَ تقول: آمينَ، وإن الإمامَ يقولُ: آمينُ، فمن وافقَ تأمينهُ تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدمُ من ذنبه
البغوي (ت ٥١٦)، شرح السنة ٢/٢١٠ • صحيح • أخرجه النسائي (٩٢٧)، وأحمد (٧١٨٧)، والدارمي (١٢٤٦)